اتجاهات فنية فى أسلوب الرسالة

بين الخوارزمى وبديع الزمان

إعـــداد

الدكتـور / السيد دياب يوسف دويدار

مدرس الأدب والنقد بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أدبه ربه فأحسن تأديبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين.

وبعد

فقد ازدهر الأدب العربى ازدهارا بينا ابان العصر العباسى نتيجة لارتقاء العقول وسمو الأفكار واختلاط العرب بغيرهم من الأمم والأجناس وامتزاج الثقافات العربية والأجنبية.

ومن ثم فان تراثنا العربى كان غنيا بالكنوز الأدبية الرائعة شعرا ونثرا ولشغفى بدراسة النثر منذ بداية حياتى العلمية جعلت ميدان هذا البحث أسلوب الرسالة عند أديبين كبيرين من أدباء العربية هما أبو بكر الخوارزمى وبديع الزمان الهمذانى ولا غرو فهما أديبان موهوبان فى فن كتابة الرسائل وقد بدت عناية الكاتبين بالأسلوب واضحة فى رسائلهما ولا يخفى أن العناية بالأسلوب فى العمل الأدبى تكسبه رفعة وتضمن له البقاء وتجعله أحرى بالقبول عند القراء والنقاد.

وقد كانت هذه العناية الواضحة البعيدة عن التكلف سببا أساسيا فى اتخاذى الأسلوب مجالا للبحث محاولا توضيح ما أرى فيه من اتجاهات فنية عند الكاتبين كليهما ولم يفتنى أن اتخذ من نصوص الرسائل ما يؤيد ما أذهب إليه ذاكرا ما أراه من وجهات نظر نقدية فى تلك الاتجاهات الفنية في أسلوب تلك الرسائل وكاتبيها.

وقد ارتكز حديثى على نقاط متعددة بينها شديد صلة وعظيم ارتباط فكلها متشابكة أو هى مقدمات لنتائج واحدة وقد جاء البحث كما يلى :

١- نظرة عامة في حياة الكاتبين أبى بكر الخوارزمى وبديع الزمان وفن الرسالة وقد اتضح من خلالها حياة الكاتبين وثقافتهما وأثارهما الأدبية ولا يخفى الصلة بين هذا كله وبين أسلوب الكاتبين.

٢- أهمية الأسلوب فى العمل الأدبى ولا غرو فالأسلوب مرآة صادقة تعكس شخصية الأديب العقلية والوجدانية والثقافية وتطلعنا على اغوار نفسه واتجاهاته الفنية والحياتية.

٣- نظرات فى الأسلوب عند الكاتبين ومن خلال هذه النظرات المتأنية ظهرت اتجاهات فنية في اسلوب رسائلهما حرية بالمتابعة وجديرة بالوقوف عندها ليراها القارئ من قريب لأنها لب البحث وأساس إنشائه.

٤- خاتمة البحث ونتائجة وهى لا تغنى عن تقليب صفحاته واستكناه ما فيه.

ولعلى أكون قد أسهمت بهذا العمل المتواضع فى خدمة العلم والأدب راجيا أن يقبل القارئ الكريم عذرى ان كان قد بدا له منى تقصير أو خالف وجهة نظرى فميدان الأدب ميدان فسيح يخضع لوجهات النظر المختلفة وفوق كل ذى علم عليم والله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير.

دكتور/ السيد دياب يوسف دويدار

نظرة عامة فى حياة الكاتبين وفن الرسالة

أبو بكر الخوارزمى : حياته وثقافته وآثاره الأدبية

حياته :

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى(١)

ولد فى خوارزم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة(٢) ولكن أصله من "طبرستان" ولهذا كان يلقب نحتا بالطبرخزمى وقد علل هذا اللقب صاحب وفيات الأعيان بأن أم أبى بكر من خوارزم وأن أباه من طبرستان فركب له من الأسمين نسبة"(٣) كما أن بينه وبين الطبرى صاحب التاريخ المشهور صلة فهو ابن اخته وقد أيد أبو بكر نسبه هذا حيث قال فى احدى رسائله :"وتذممت من أن أعارض بلسان خوارزمى وعقل طبرى وخاطر أعجمى من لسانه عربى وعقله قرشى"(٤).

(١) اليتيمة ٤/٢٢٣ ش، ت محمد مفيد قميحة ط١ دار الكتب العلمية- بيروت لبنان سنة ١٩٨٣م.

(٢) السابق وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٢/ ١١٠ ترجمة عبد الحليم النجار.

(٣) انظر "وفيات الأعيان" ٤/ ٣٥ مطبعة السعادة - الناشر مكتبة النهضة العربية سنة ١٩٤٨م.

(٤) رسائل الخوارزمى ٦٥ تقديم الشيخ نسيب وهبة الخازن منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت سنة ١٩٧٠م.

وينبغى أن يلاحظ هنا أن كاتبنا غير محمد بن احمد الخوارزمى الفلكى الرياضى المعاصر للمأمون كما أنه غير أبى عبد الله محمد بن احمد الخوارزمى صاحب مفاتيح العلوم(١).

وقد أقام أبو بكر الخوارزمى فى اقليم خوارزم وقد فتح العرب المسلمون هذا الأقليم فصار من امهات الاقاليم الاسلامية ذات المكانة المرموقة ويقع هذا الاقليم على حافتى نهر حيجون(٢).

وقد ازدهرت فيه الحياة العلمية والعقلية ازدهارا بينا بعد أن فتحه العرب وطبيعى أن يتأثر بذلك الأدباء ونتاجهم من شعر ونثر.

كما أدى اختلاط الاجناس فى هذا الاقليم من فرس وروم وترك وعرب وغيرهم الى التماذج الفكرى والثقافى بين العلماء والأدباء فارتقى العلم والأدب فى هذا الاقليم الذى نشأ فيه الخوارزمى وكان "من أعظم الأقاليم علما وعلماء ولعل هذا يعزى إلى السلاطين الخوارزميين الذى احتضنوا العلماء والأدباء فازدانت دولتهم بكثير من هؤلاء الذين انتجوا آثارهم بالعربية والفارسية" (٣).

(١) انظر تاريخ أداب اللغة لجرجى زيدان ٢/٢٧٤ ت د. شوقى ضيف .

(٢) معجم البلدان ٢/٣٥١ دار صادر بيروت ١٩٧٧م.

(٣) انظر "الأدب العربى فى اقليم خوارزم لهند حسين طه - منشورات وزارة الاعلام بالعراق ١٩٧٦م.

ترك الخوارزمى وطنه متنقلا هنا وهناك وهو قوى المعرفة قويم الأدب على الرغم من حداثة سنه آنذاك أخذا عن العلماء مقتبسا من الأدباء ولقد لقى سيف الدولة وافاد من مجلسه لكن المقام لم يدم له عنده بسبب المكائد التى كانت تحاك ضده فأخذ يجوب الأقطار وينتقل فى الأمصار في الشام والعراق وخراسان وبخارى التى صحب فيها وزير الدولة السامانية ابا على البلعمى ولكن صحبته لم ترقه ففارقه وهجاه بقوله ساخرا ومتهكما:

ان ذا البلعمى والعين غين وهو عار على الزمان وشين
ان يكن جاهلا يخفى حنين فهو أخف والزمان حنين[1]

ولكنه رجع عن ذلك معتذرا فى احدى رسائله حيث كان يقيم فى نيسابور فأرسل إلى البلعمى هذا معتذرا اليه بقول: "كتابى الى الشيخ وقد أمضت الأيام في حكمها وانفذت فى صبرى وتجلدى سهمها والحمد لله - تعالى - على كل شئ الا غيبتى عن الشيخ فانى أخشى أن ازداد منها اذا حمد الله لها، انتهت بى المحنة بعد فراق الشيخ إلى غاية ليس بينها وبين الموت حجاز ولا وراءها للبلاء مجاز..."[2]

(١) النتيجة ٤/٢٣٤.

(٢) رسائل الخوارزمى : ٤٢.

وقد أقام في نيسابور ردحا من الزمن والتقى فيها بل صحب كثيرين من اعلام الأدب والحكم وكبار الشخصيات حينذاك.

وكان من أبرز الشخصيات التى التقى بها وصحبها الخوارزمى الأمير أبو النصر احمد بن على المكيالى زعيم آل مكيال ذات السيادة فى ايران حيث عرفت بالكرم والأدب والعلم فنال ما نال من كرم هذا الأمير فلهج لسانه بمدح آل مكيال وكان مما قال فيهم شعرا:

هم شحم الدنيا فان نتعدهم
الى غيرهم نحصل على الفرث والدم
سقى الله ذاك الروض جودا لجودهم
وصير آجال العداة اليهم
وأبقى ابا نصر ليربى عليهم
سنينا كما أربى سنينا عليهم

ثم رحل الخوارزمى الى سجستان فمدح وهجا ثم ادخل السجن ثم استغاث بالأمير المكيالى برسائل لا يتسع المقام لذكرها ثم عاد إلى نيسابور حيث عاودته الحظوة عند الصاحب بن عباد باصبهان فطابت عنده اقامته بعد أن مدحه ونال من كرمه وغمره بإنعامه وفضله. (١)

(١) انظر اليتيمة ٤/٢٣٧.

وهكذا انتهى المقام بالخوارزمى فى نيسابور وفيها جلس على قمة الأدب وأضحى منارة لطلابه ينهلون من موارده ويسعدون بصحبته واصبح موضع التقدير من كل من عرفوه وهكذا "ارتفع مقداره وطاب عيشه إلى أن رمى في أخر حياته بحجر من الهمذانى الحافظ البديع، وبلى بمساجلته ومناضلته وبعدها حضرته الوفاة وكانت فى شوال سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة"[١] من الهجرة.

وهكذا طويت صفحة ماجدة لامعة من صفحات العلم والأدب لكنها باقية بعطائها وثرائها في آثارها الأدبية على مر الأيام.

ثقافته:

عرف الخوارزمى بسعة ثقافته ومعارفه وامتلاكه لزمام البيان حتى أصبح من الكتاب اللامعين فى القرن الرابع الهجرى وتتلمذ على يديه طلاب الأدب والمعرفة وذلك نتيجة لازمة لما حصله من علم وثقافة وكان شيعى المذهب حصل علوم الفقه والحديث والأدب واللغة بين شيوخه وأفاد منهم في ثقافته ومن هؤلاء الذين تتلمذ على أيديهم أبو على اسماعيل الصفار[٢] وأبو سعيد احمد بن شيب الذى قصده بقوله فى احدى رسائله:

وقدر أن يثلج صدرى ويرزقنى النظر إلى وجه من صنعنى

(١) انظر اليتيمة : ٢٣٨، ٢٣٩.

(٢) انظر "بغية الدعاة للسيوطى" ص ٥١ جـ١ مطبعة الخانجى.

وخرجنى واصطنعنى فتعلمت الرسل من نثره واصبحت شاعرا برواية شعره"(١).

وقد أعان الخوارزمى على الوصول الى هذه المنزلة الرفيعة فى عالم الأدب والشهرة فى مجال العلم توقد قريحته ونبوغه منذ الصغر وكذلك نشأته فى اقليم خوارزم الذى كان مجالا رحبا يتبارى فيه العلماء ويتخرج فيه الأدباء الافذاذ "وهكذا كان الخوارزمى فهو واسع الثقافة عالم بأشعار العرب واقف على سر وخواص التراكيب"(٢).

ولعل مما يدل على سعة ثقافته وبخاصة فى مجال الأدب ما ذكره صاحب وفيات الاعيان حيث قال انه "قصد ذات يوم حضرة الصاحب بن عباد وهو "بأرجان" فلما وصل الى بابه قال لأحد حجابه: قل للصاحب على الباب احد الأدباء وهو يستأذن فى الدخول، فدخل الحاجب وأعلمه فقال الصاحب قل له : قد الزمت نفسى ألا يدخل على من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب، فخرج اليه الحاجب وأعلمه بذلك فقال له أبو بكر : ارجع اليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال، فقال الصاحب: هذا يكون أبا بكر الخوارزمى فأذن له فى الدخول، فدخل عليه وانبسط له"(٣).

(١) رسائل الخوارزمى ٣٣١.

(٢) انظر تاريخ الأدب العربى لاحمد حسن الزيات ص ١٤٧ جـ١ - مطبعة الاعتماد.

(٣) وفيات الأعيان ٣٣/٤.

آثاره الأدبية :

لم يترك الخوارزمى آثارا أدبية كثيرة لكنها مع قلتها تبوأت مكان الصدارة فيما تركه الأدباء فى عصره كما أنها أبقت ذكره وخلدت مكانته في سجل الأدباء النابهين على مر العصور والأيام وقد تمثلت آثاره الأدبية فى تلك الرسائل التى نيفت على المائة والعشرين في مختلف الاغراض والفنون كما أن من هذه الآثار ديوانه الشعرى الذى طبع فى القاهرة سنة ١٩٠٣م[١] والذى قال عنه زكى مبارك :"وقد كان الخوارزمى شاعرا ولكن ديوانه ضاع ولم يبق من شعره إلا القليل"[٢].

ولعل ابا بكر الخوارزمى برزقى النثر ولم يبلغ شأوا فى مجال الشعر لأنه عاش في عصر نبغ فيه كثير من الشعراء الموهوبين الذين لم يشق لهم غبار ومنهم الشريف الرضى والمتنبى وابو فراس ومن ثم اتجه الى النثر الذى برع فيه براعة تنطق بها رسائلة التى تناولنا منها بعض الاتجاهات الفنية فى أسلوبها من خلال هذا البحث الذى بين أيدينا الآن والذى لزم أن نذكر فيها هذه النبذة عن حياة صاحب تلك الرسائل "على أن ما أثر عنه من الشعر يدل على أن كتابته خير من شعره وأن شعره ليس بجيد وان لم يكن يردئ" (٣)

ولهذا كانت الدراسات مهتمة به ناثرا ولم تهتم به شاعرا.

رحم الله الخوارزمى وجزاه عما ترك للأدب واللغة وطلاب المعرفة خيرا.

(١) النظر تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ١١١/٢.
(٢) النثر الفنى جـ٢ ٣١٦.
(٣) اليتيمة ٢٧٣/٤، ٢٧٤.

بديع الزمان الهمذانى : حياته وثقافته وآثاره الأدبية :

حياته :

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد بن بشر الملقب بـ "بديع الزمان" (١)

ولد فى الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ببلدة همذان الفارسية ونسب اليها وكانت همذان مقاما للملوك وأهل الفصل والدين مع أنها ذات طبيعة خاصة تتمثل فى شدة بردها الذى وصفه الشعراء بكثير من الشعر (٢) ولاشك أن للبيئة والنشأة أثرهما فى تكوين الأديب كما سيتضح عند الحديث عن بعض الاتجاهات الفنية فى أسلوب الرسالة موضوع البحث.

بديع الزمان لقب له دلالته :

عرف أبو الفضل ولقب ببديع الزمان وقد أطلق عليه هذا اللقب كبار الأدباء ومن هؤلاء الخوارزمى الذى أرسل إليه رسالة صدرها بقوله :

يا بديع القول حاشا للأبن هجو بديع (٣)

(١) معجم الأدباء ١٦١/٢ منشورات دار المأمور - مكتبة عيسى الحلبى.
(٢) معجم الأدباء، ٥/ ٤٠٠ وما بعدها.
(٣) معجم الادباء ١٩٥/٥.

ولعلك تلحظ دلالة هذا اللقب فى قول الثعالبى عنه :"هو أحمد بن الحسين بديع الزمان، ومعجزة همذان.. كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب"(١).

ويؤكد تلك الدلالة على هذا اللقب الحصرى اذ يقول عنه :"هذا اسم وافق مسماه ولفظ طابق معناه، وكلامه غض المكاسر انيق الجواهر يكاد الهواء بسرقة لطفا والهوى يعشقه ظرفا ..."(٢)

ولعل أبرز دلالة لهذا اللقب وأعظم سبب فيه هو انشاؤه تلك المقامات على غير مثال سبق فهى صورة لم تكن موجودة من قبل فى ميدان الأدب الفسيح ولا يمنع ذلك من الأسباب الأخرى المبثوثه في الكتب والتى ذكرت جانبا منها.

نشأ بديع الزمان فى همذان وتولاه والده بالرعاية والتثقيف الى أن غادر همذان وظل بعيدا عنها أحد عشر عاما.

وقد اختلف فى أصله فيرى بعضهم أنه عربى الأصل وهم الكثرة الكاثرة ويرى البعض الآخر انه فارسى الأصل ونحن مع الرأى الأول وحسبنا ذلك من غير افاضة فى هذا المجال إذ أن المقصود هنا الاشارة التى تغنى عن الاسهاب فى بحث مجالة اسلوب الرسالة عند

---

(١) اليتيمة ٤/٢٩٣.

(٢) زهر الآداب ت د. زكى مبارك ٣٠٥ ط٤ دار الجيل سنة ١٩٧٢م.

الكاتبين واتجاهاته الفنية وكان لنشأته فى همذان أثرها فى تكوينه الأدبى والثقافى ولا غرو فقد كانت همذان حينئذ محط العلم والعلماء والأدب والأدباء في القرن الرابع الهجرى مع أن كثيرا من هؤلاء العلماء والأدباء كان يؤثر الهجرة منها الى غيرها ولعل ذلك راجع الى شغف طلاب العلم والأدب بالتنقل بين البلدان قاصيها ودانيها أملا فى المزيد من الشهرة ولقاء الافذاذ فى مجالات العلم والأدب فى اماكن شتى والافادة من فكرهم وثقافاتهم المتنوعة كما أنه ربما يرجع إلى الرغبة فى الاتصال بالامراء والوزراء أملا فى منحهم وعطاياهم فقد كان هؤلاء الحكام يقدرون العلم والأدب ويحرصون على إقامة الندوات الشعرية والأدبية التى يحضرها المشاهير فى كل مجال، ومن البلدان التى سافر اليها البديع وأقام زمنا بها "أصبهان" حيث كان يوجد بها الصاحب بن عباد الذى نهل بديع الزمان من معارفه وتزود من ثقافته وليس الهمذانى بدعا فى ذلك فقد اتسم مجلس الصاحب بن عباد بأنه منتدى الوافدين من العلماء والأدباء جميعهم "وكانت أيامه للعلماء والأدباء والشعراء وحضرته محط رحالهم... واحتف به من نجوم الأرض وأفراد العصر وابناء الفضل ما يفوق عدد شعراء الرشيد"[1] وهكذا أفاد البديع من مقامه فى حضرة الصاحب بن عباد حيث التقى بأهل العلم والأدب وأخذ عنهم وتعرف على ثقافاتهم ولم يستقر به المقام طويلا ولكنه رحل الى "جرجان" ثم

(١) اليتيمة ٣/٢٢٥.

إلي نيسابور تلك المدينة التى كانت تشجع الأدب والأدباء [١] وكانت يومئذ موطنا لأبى بكر الخوارزمى أعلم أهل عصره باللغة والأدب والذى بدا للبديع أن يناظره على الرغم من مكانته الأدبية وحظوته عند أمراء نيسابور وكانت تلك المناظرة علنا "وكانت الغلبة للبديع الهمذانى وغادر نيسابور سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة" [٢].

ثم توجه البديع بعد ألى "سجستان" فأحسن أميرها خلف بن أحمد" معاملته وافاد من صحبته لأنه كان أديبا وقد اكرم الأمير الأديب وفاده البديع وقويت بينهما الصلة التى على أثرها أهدى البديع جانبا من مقاماته فبالغ الأمير فى اكرامه ورفع مكانته بيد أن الحال لم يدم طويلا على ذلك فقد ساءت العلاقة بينهما وأصابها شئ من الفتور ومن ثم آثر البديع مغادرة "سجستان" صونا لنفسه وكرامته إلى بلدة "غزنة" التى اتسم صاحبها السلطان "محمود الغزنوى" بحبه الشديد للأدب والأدباء والعلم والعلماء حتى انه سمع بمجموعة من العلماء يقيمون عند احد أمراء خوارزم فدعاهم للاقامة عنده ومن هؤلاء ابن سينا الفيلسوف وابو النصر العراق الطيب ومن ثم عاش البديع فى كنف هذا السلطان بين كوكبة من العلماء والأدباء راضى النفس سعيد بما وصل اليه من مكانة أدبية وعيشة راضية "وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله فلباه وفارق دنياه سنة ثمان

(١) النثر الفنى ٢/٣٩٥.

(٢) بديع الزمان د. الشكعة ١٧٥.

وتسعين وثلاثمائة فقامت عليه نوادب الأدب وانثلم حد القلم.. ويكاه الأفاضل مع الفضائل ورثاه الأكارم مع المكارم"[١] وهناك اختلاف فى سبب وفاته لسنا بحاجة اليه فى مجال تلك الدراسة الموجزة وكانت وفاته في "هراة" التى كانت نهاية مطافه وكان أحد وجهائها وعلمائها فجزاه الله عن اللغة والأدب خير الجزاء وجعل لقاءه لربه خير اللقاء.

ثقافته:

تنوعت روافد ثقافة بديع الزمان ولا غرو فقد عاش فى عصر كان أهم ما يميزه تلك الحركة العلمية والأدبية حيث تنوعت فيه الثقافات وكثرت فيه الترجمة وارتقت فيه المعارف وتنوعت بين الفارسية والعربية وغيرهما فكانت كلها روافد كون منها ثقافته وأشبع نهمه العلمى وروى ظمأه العقلى والفكرى كما أنه عرف بكثرة ترحاله وتردده على منتديات العلم والأدب وقد ساعده على هذا كله حبه للأدب والعلم وقريحة متوقدة وعقل ذكى لماح ومن ثم تكونت لديه تلك الثروة الأدبية والعلمية والثقافية التى جعلته علما من أعلام الأدب.

ولعل من أهم عوامل اتساع ثقافته وعمق تفكيره واحاطته باللغة تلمذته على نخبة من كبار الأساتذة الذين كانت لهم مكانة

---

(١) اليتيمة ٤/٢٥٩.

عليـا فى علوم العـربيـة وفنونهـا المتنوعـة ومن هؤلاء العلمـاء الذين تلقى عنهم العلم ونهل من ثقافتهم وتأدب بأدبهم "أبو الحسن احمد ابن فارس" الأديب الكبير واللغوى العظيم صاحب "المجمل" فى اللغة وكان بهـمذان، وعنه أخذ جميع ما عنده، واستنفد علمه واستنزف بحره"(١).

وهكذا تآزرت كل العوامل والروافد فى تكوين تلك الشخصية الأدبية لبديع الزمان حتى جعلت منه أستاذا له اليد الطولى فى مجال التأديب والتثقيف والريادة الأدبية والعلمية فى عصره.

ولم تنحصر ثقافته فى علوم العربية وآدابها ولكنه كان ذا ثقافة فارسية أدبا ولغة وهكذا كان لتلك الثقافة البديعية أثرها فى أسلوب رسائله وجودة صياغته على النحو الذى سوف نراه عند الحديث عن بعض الاتجاهات الفنية فى أسلوب تلك الرسائل.

آثاره الأدبية:

لاشك أن ما تركه بديع الزمان - على قلته - من آثار أدبية يعد معينا ثرا للغة والأدب وطلاب المعرفة على مر الأعصر والسنين يفيدون منها ويتمرسون بأساليبها وتلك الآثار على قلتها "بوأت الرجل منزلته العليا فى الأدب العربى فكان بعيد الأثر فيه"(٢).

(١) اليتيمة ٤/٢٩٤، ومعجم الأدباء ٢/٢٦١.
(٢) بديع الزمان - ما رون عبود ٢٩.

وتنحصر تلك الآثار الأدبية التى تركها بديع الزمان الهمذانى في الرسائل والمقامات وديوان للشعر.

وقد بلغ عدد رسائله مائتين وثلاثا وثلاثين وكلها جديرة بالبحث والدراسة، وأسلوبها هو من موضوع بحثنا الذى نعرض له تلك المقدمات أما الديوان فيتضمن زهاء ثلاثمائة والف بيت فى أغراض مختلفة وان كان معظمها فى المدح حيث - كما نعلم قبلا - كان كثير الترحال فحينما يستقر به المقام يصاحب الأمراء والسلاطين وهذا يفرض عليه فى كثير من الأحيان أن يلهج لسانه بالمدح والثناء على هؤلاء، كما فعل مع السلطان محمود الغزنوى والصاحب بن عباد وبنى مكيال وغيرهم من رؤساء جرجان ونيسابور وهراة[1] وستبقى تلك الآثار مجال الاهتمام والدراسة لدى الأدباء والباحثين كما أنها ستبقى شاهدة للبديع برسوخ قدمة فى هذا المجال الفسيح.

فن الرسالة فى الأدب العربى

لعل من المفيد هنا أن اذكر نبذة عن فن الرسالة في الأدب العربى توطئة للحديث عن الاتجاهات الفنية فى أسلوب الرسالة عند الخوارزمى وبديع الزمان.

(١) النظر : "الحياة الأدبية فى العصر العباسى الثانى"د. خفاجى ط١ ص ٣٨٢.

وخلاصة ما اورده صاحب[١] اللسان في معنى الرسالة أنها مأخوذة الترسل بمعنى التحقق بلا عجلة أو من الارسال بمعنى التوجيه والبعث إلى الأخرين في غرض من الأغراض وهذا هو المعنى اللغوى. أما معناها الأدبى فقد بينه القلقشندى حيث قال : "الرسائل جمع رسالة والمراد فيها أمور يرتبها الكاتب من حكاية حال من عدو أو صيد أو مدح وتقريط أو مفاخرة بين شيئين أو غير ذلك مما يجرى هذا المجرى، وسميت رسائل من حيث ان الأديب المنشئ لها ربما كتب بها الى غيره مخبرا فيها بصورة الحال"[٢] وقد قيل ان الرسالة : "تصوير لما يعتلج فى النفوس ويخامر الأفئدة ويدور فى فلك الدولة"[٣].

ويرجع الدكتور ابو الخشب تسمية الرسالة بهذا الاسم الى أحد أمرين "الأول - أنها تكون رسولا بين اثنين - أى بمعنى رسالة تنتقل من الأول إلى الثانى عتبه وسخطة ورضاه وغضبه وشوقه وهيامه والثانى : انها مأخوذة من الارسال بمعنى الاطلاق الذى يفيد التحرر من القيود والالتزام بأى شئ وهذا لا يعنى أن يترك للكاتب حبله على غاربه وينطلق مع سجيته وطبعة ويفلت من قبضة النقد ...

(١) انظر : اللسان مادة "رسل"

(٢) صبح الأعشى - شرح وتعليق / محمد شمس الدين - دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧م.

(٣) نظرات في الأدب المعاصر د. سليمان الاغانى ١٩١ ط١، ١٩٧٣م.

اذ لا يرضى الناس من الأدب أن يكون تأليفا مجردا ..."[١] بل لابد من أن تكون فى اطار من الفن المحكوم بأسس النقـد التى تعـارف عليها العلماء في هذا الميدان الفسيح.

أطوار فن الرسائل ؟

تعـد الرسـالة من أقـدم فنون النشـر الكتـابى نشـأة فـقـد كـانت بدايتـهـا على عـهـد رسـول الله - صلى الله عليـه وسلم - حينما بعث رسائله الى قادة بعض الأمم الذين لم يشافهم بدعـوته يدعـوهم فيـهـا الى الاسلام ويشـرح لهم من خلالها تعاليمه "واقتـضى ذلك أن يعين نفرا من خاصته يعرفون القراءة والكتابة لأداء هذه المهمة واشتهر من هؤلاء جماعة بكتابة الوحى من أمثال عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب، وزيد بن ثابت وغيرهم"[٢].

وقد اتسمت الرسائل في عهد النبى - صلى الله عليه وسلم- والخفاء الراشدين بعد أوائل العصر الأموى ببساطتها وايجازها وعدم التأنق فيها لأنها تهدف إلى بيان غرضها من أقصر طريق وبأوجز عبارة ولا غرو فقد كان يمليها الخلفاء والولاة والقادة من انشائهم على الكتاب وهم أصحاب القدم الراسخة فى البلاغة والايجاز.

(١) فى محيط النقد الأدبى د. إبراهيم ابو الخشب ١٧٠، ١٧١- الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م.

(٢) انظر " الكتابة العربية الأدبية والعلمية د. اشرف موسى ١٣٦٢. مطبعة دار التأليف.

ثم جاء طور آخر لكتابة الرسائل وذلك بعد اتساع الفتوحات ورفعة الدولة المسلمة حيث كثرت مهام الخلفاء والولاة وتعربت الدواوين فى البلاد المفتوحة عندئذ عهد خلفاء بنى أمية بكتابة الرسائل الى نخبة من الكتاب العرب في الشام والعراق ومصر وغيرهم ممن يجيدون العربية من أبناء الفرس والروم ومنذ ذلك الحين صارت الكتاب صفة لهؤلاء فتأنفوا فى صوغها وتفننوا في أسلوبها وعملوا على تحصيل أدوات البلاغة فأقبلوا على تعلم الأدب وحفظ القرآن الكريم ورواية الشعر وحفظه وأفادوا من صنوف المعارف والترجمة ومن ثم صارت الكتابة فنا عظيما برع فيه كثير من الكتاب امثال عبد الحميد بن يحيى وابن المقفع والجاحظ الذى كان يميل الى الاطناب مع الصناعة السهلة والعبارة الواضحة. وهكذا كان معظم كتاب القرن الثالث الهجرى.

وفى القرن الرابع قصد الكتاب الى التنميق والسجع حتى زاحمت الرسالة القصيدة وتبوأت مكانة سامقة، ولا عجب اذا علمنا أن هذا القرن من أزهى عصور فن كتابة الرسائل فى تاريخ لغة الضاد فقد شغف به وتعصب له واستقر له كثيرون "فأقبل عليه الكتاب من أمراء ووزراء وكتاب واخذوا ينشئون الرسائل البديعة التى اتخذت طابعا خاصا من العناية والتأنق..."(١).

---

(١) انظر بديع الزمان د. الشكعة ص ٦٥.

أنواع الرسائل :

لا أجد بدا من اعطاء القارئ فكرة سريعة عن أنماط الرسائل ومعالم كل نوع منها حتى تتم له الفائدة وتكون صورة البحث امامه كاملة وفيما يلى عرض موجز لهذه الأنواع.

ولنبدأ بأهمها عند القدماء وهى الرسائل السلطانية أو الرسمية ولأهمية هذا النوع كان "لفظ الكتابة اذا اطلق لا يراد به غير كتابة الانشاء والكاتب اذا اطلق لا يراد به غير كاتبها" [١] والمقصود بكتابة الانشاء أو الرسائل السلطانية كما جاء فى الكتب الأمهات "تأليف الكلام وترتيب المعانى من المكاتبات والولايات والمسامحات والاطلاقات ومناشير الاقطاعات ولهون الأمانات والأيمان وما فى معنى ذلك ككتابة الحكم ونحوها" [٢] وقد عنى الاقدمون بهذا اللون من الكتابة عناية فائقة، والقوا فيها كثيرا من الكتب ومنها على سبيل المثال "المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر" لابن الأثير كما تبرز تلك الأهمية اذا عرفنا أنه اقيم لهذا اللون من الكتابة ما سمى بديوان الانشاء لتصدر عنه تلك الرسائل السلطانية وشرطوا فيمن يتولى رئاسته أن يكون أعلم عصره بفنون الكتابة وأساليبها كما لزمه أن يكون ذا ثقافة واسعة في علوم اللغة والشرع واللغة الأعجمية.

(١) صبح الأعشى ١/٥٢.

(٢) السابق ٥٤.

وترجع أهمية تلك الرسائل الى ما حوته من احداث تاريخية شاملة واسماء للقضاة والقواد والاخبار والمواقف التى ربما قد غفل عن بعضها المؤرخون قديما وحديثا.

أما أسلوبها فكان مزيجا من الفكرة المنطقية والجمال اللفظى مع وضوح لا يحتمل التأويل "غير أنها قد تنال على أيدى بعض الكتاب المثقفين حظا يسيرا من الأناقة لا يطغى على المعلومات المهمة التى هى الاساس الأول لانشائها..."(١) ولاشك أن تلك الرسائل السلطانية المبثوثة فى كتب التراث تعد موردا ثرا لطلاب العلم والأدب يرشفون من أساليبها ويفيدون من طريقة تأليفها ولا غرو فانه "إذا كان الكثير من الوان الكتابة السلطانية قد صار فى ذمة التاريخ اذ قد تغيرت الأحوال السياسية والاجتماعية فان بعض هذه الألوان لا يزال له نظير فى عصرنا الحاضر"(٢).

الرسائل الإخوانية :

وهى تلك الرسائل التى تكون بين الأصدقاء والتى يعبر فيها وبها الكاتب عن عواطفه ويفسح فيها المجال لخياله غير متقيد فيما ينشئه بوزن أو قافيه وتكون متعددة الأغراض ولهذا أوصلها صبح الأعشى الى سبعة عشر نوعا" هى التهانى والتعازى والشفاعات

---

(١) الكتابة العربية د. أشرف موسى : ٢٧.

(٢) أسس النقد الأدبى عند العرب د. أحمد بدوى ٥٧٧.

والتشوق والاستزارة واختطاب المودة وخطبة النساء والاستعطاف والاعتذار والشكوى واستماحة الحوائج والشكر والعتاب والسؤال عن حال المريض والأخبار والمداعبة وبعض هذه الأنواع يندرج تحته اضرب كثيرة..." (١) ولعل الرسائل الاخوانية أقرب النثر الى الشعر الغنائى من حيث الاغراض والبواعث والمضامن وان اختلف فى الشكل ومن ثم قال بعض المحدثين من النقاد.

"ان الرسائل الاخوانية شعر غنائى منثور يجد فيها كاتبها متنفسا حرا عن عواطفه لا يقيده فيها وزن ولا قافية" (٢).

وأسلوبها أدبى خالص حيث يمزج فيها الكاتب بين عناصر التجربة المختلفة فيريك تعانقا بين العاطفة والخيال والبديع فى أسلوب رسالته وما ذلك إلا لأن الكاتب يجمع لها فكره ويطرح فيها صناعته ويبرز من خلالها ثقافته فترى فيها أعذب الألفاظ والطف المعانى فى لغة أدبية منتقاة.

الرسائل الأدبية :

وهذا اللون من الرسائل يختلف عن الرسائل السلطانية والاخوانية اختلافا بينا حيث انه فى حقيقته مقالة أدبية وليس بينه وبين الرسائل من صلة الا تلك المقدمة التى تبدأ بمخاطبة القارئ ثم

---

(١) انظر صبح الأعشى ٩/٥- ٢٢٨.

(٢) أسس النقد الأدبى د. احمد بدوى ص ٥٨٠.

يعرض الكاتب موضوعة الذى يكون من بين الموضوعات الاجتماعية أو الفردية وتكون تلك الرسائل مبنية على اثارة العواطف ومخاطبة المشاعر ومن هذا اللون رسالة "الحاسد والمحسود" للجاحظ والتى يقول فيها "وهب الله لك السلامة، وأدام لك الكرامة، ورزقك الاستقامة، ودفع عنك الندامة كتبت الى - اكرمك الله- تسألنى عن الحسد ما هو؟ ومن أين هو، وما دلائله وأفعاله، وكيف تفرقت اموره وأحواله..."(١) والمتتبع لهذه الرسالة وغيرها من الرسائل الأدبية تبدو له عناية كتابها بالصناعة التى تهدف إلي اثارة العاطفة وتعميق الفكرة لدى القارئين ومن ثم يمكن القول ويتأكد "أن هذه الرسائل الأدبية ذات قيمة كبرى بين الفنون النثرية الأخرى وهو أدب هادف بلا ريب يرمى إلى غاية للأدب خلقية أو اجتماعية أو دينية أو غيرها"(٢).

(١) مجموعة رسائل الجاحظ ص ٢.

(٢) أسس النقد الأدبى د. احمد بدوى ص ٥٨١.

أهمية الأسلوب فى العمل الأدبى:

لاشك أن العناية بالأسلوب فى النص الأدبى تكسبه رفعة وتضمن له البقاء ومن ثم كان تجويد الأسلوب هدفا من أهداف الأديب المجيد فى شعره ونثره على أن يكون ذلك من غير تكلف (لأن التكلف اذا ظهر فى الكلام هجنه وقبح موقعه) (١).

وترجع أهمية الأسلوب في النص الأدبى شعره ونثره الى أن ذلك الأسلوب هو المنوال الذى تنسج فيه التراكيب أو القالب الذى تفرغ فيه المعانى أو بعبارة أخرى هو طريقة (اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعانى قصدا للايضاح والتأثير) (٢).

ولهذا كان الأسلوب مرآة صادقة تعكس شخصية الأديب العقلية والوجدانية والثقافية وتطلعنا على أغوار نفسه واتجاهاته فى الحياة.

واذا تتبعنا رسائل الكاتبين الخوارزمى والبديع ونظرنا فى أسلوبيهما فى تلك الرسائل التى يسر الله لنا قراءتها وجدنا ذلك الأسلوب موضع الرعاية والاهتمام حيث حرص كل من الأديبين على تجويد أسلوبه باختيار ألفاظه وتعبيراته فجاءت لغتهما قوية الأداء

(١) "نقد النثر" ص ١٠٥ المنسوب لقدامة بن جعفر.

(٢) الأسلوب للدكتور احمد الشايب ص ٤٤ ط٥.

دقيقة فى الدلالة على المقصود مع سلامة المبانى ووضوح المعانى عند الكاتبين كليهما ومن ثم كانا موفقين فى أسلوب كتابتهما ولا عجب فالكاتب "الموفق هو الذى يهتدى الى الكلمة التى تكون شديدة الابانة عما يريد ..."(١).

ولعل العناية بالأسلوب فى العمل الأدبى متمثلة فى تخير لفظة وسهولته واصابة معناه واستواء تقاسيمه وتعادل أطرافه تجعله أحرى بالقبول وأجدر بالبقاء ولذلك كله تبرز أهمية الأسلوب في العمل الأدبى مما دفع إلى اتخاذ أسلوب الكاتبين وما يبرز فيهما من اتجاهات فنية موضوعا لهذا البحث الأدبى المتخصص فى هذا الميدان الفسيح.

نظرات فى الأسلوب عند الكاتبين :

وضوح اللغة ودقة استعمالها :

لعل من المفيد هنا أن نعرض لنماذج من الرسائل حتى تتضح السمة التى نريد التأكيد عليها وتجلية جوانبها أمام القارئ الذى قد يشاركنى الرأى فيما ذهبت إليه.

يقول الخوارزمى فى مقام التهنئة : (... هنأه الله - تعالى - بما أولاه وبارك له فيما أعطاه ، وأراه فى أولاه وأخراه، وفيمن والاه وعاداه ما نريد ويهواه وأتاه مما يسمعه ويراه ما يقترحه ويتمناه،

---

(١) أسس النقد الأدبى للدكتور احمد بدوى ص ٤٥٢.

وأرانى فيه ما يرضاه وأرضاه، حتى أرى الدهر وهو عبده ومولاه..."(١).

ويقول أيضا فى مقام المواساة :"(... وما سرنى والشيخ أن المحبة لم تثلم جوانب دلالته، وان طول مدة الذلة والقلة لم تعتصر ماء احتماله وصلابته وان الوحدة والوحشة لم تقدحا فى لسانه وقلبه...) (٢)

وبنظرة متأنية في النصين السابقين من رسائل الخوارزمى وبالوقوف عند بعض الكلمات والعبارات فيهما يتضح لنا أنها أفادت مطلوبها فى دقة ووضوح كما أنها كانت أدل على المعنى من غيرها فى هذا المقام.

ترى ذلك فى النموذج الأول فى (هنأه ، بارك، يقترحه ويتمناه، وأرانى فيه ما يرضاه...) وفى النموذج الثانى (لم تثلم جوانب دلالته ولم تعتصر ماء احتماله وصلابته ....)

ونجد مثل هذا عند البديع فى إحدى رسائله التى يرد فيها على كتاب ومنها (يكاد كتابك يروينى إن عطشت، ويغذونى ماعشت، لا أذكر معه شغلا وان أهم، وكأنى اتأمل من سطوره صفحات

(١) رسائل الخوارزمى: ٢٦٢.

(٢) السابق : ٤١.

صدرك...) [١] كما فى قوله فى رسالة يمدح فيها ابا جعفر المكيالى: (فقد ورد من الشيخ بحرا وعقد منه جسرا وما عسر وعد وهو منجزه) [٢].

فالمتأمل فى أسلوب البديع فى هذين النموذجين يلحظ أن تلك الكلمات والجمل قوية فى دلالتها وأكثر وفرة فى أداء معانيها.

ففى النموذج الأول ترى ذلك فى (يروينى، ويغذونى) هذا فضلا عن براعة التصوير وجمال الاستعارة فى هاتين الكلمتين السابقتين.

وفى النموذج الثانى (فقد ورد من الشيخ بحرا، وعقد منه جسرا) ومن هذه الكلمات الدقيقة والعبارات الواضحة الموحية والخيال المحلق كون الكاتبان أسلوبهما فى الرسائل غالبا فكان مظهر البراعة لديهما ولا غروفإن (تكوين الأسلوب أهم المظاهر لبراعة الكتاب...) [٣].

وهكذا جاءت رسائل الخوارزمى والبديع واضحة اللغة خالية من التعقيد الذى يذهب ببهاء الألفاظ ويعيب الأديب ويبعده عن الطريق

---

(١) كشف المعانى والبيان ٤٨٦.

(٢) السابق ١٨٣.

(٣) الأسلوب لأحمد الشايب ٤٨.

الصحيح الذى يجعله من جملة البلغاء وقد بدا أن الخوارزمى أوسع باعا فى هذه السمة.

ومن ثم يظهر لنا تقدير صاحب البيان والتبيين لأولئك الكتاب وأمثالهم حيث يقول :(أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة فى البلاغة من الكتاب فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا..) (١).

وإذا تركنا الحديث عن وضوح اللغة ودقتها وانتقلنا الى **الملاءمة بين اللغة وأغراض الرسائل عند الكاتبين:**

فإننا فى حاجة إلى إثبات ذلك من نصوص الرسائل عند الخوارزمى والبديع كليهما حتى يكون الحكم الأدبى الخاضع لوجهات النظر النقدية المحكومة بأصول النقد حكما اكثره الصواب فيما نراه.

يقول الخوارزمى فى إحدى رسائله :(.. مثلى - أيد الله الشيخ - لا يحمل على الخدمة بالتقريع والتثريب، ولا بالتهديد والترهيب، ولا تختلف اخلاف مودته بالاذلال ولا يدرك مصون ما عنده بالامتهان...) (٢).

---

(١) البيان والتبيين ١-٧٦.

(٢) رسائل الخوارزمى ص ١٥٥.

ويقول أيضا فى رسالة أخرى :(...كان صدر عنى الى حضرة الشيخ كتابا أنشأه الشوق إليه وكثرة التلهف عليه وكتبته يد الحمد والشكر وأملاه لسان الحديث والذكر ....) (١).

وبنظرة عابرة مع حس أدبى موفق تبدو عناية الخوارزمى بأسلوبه حيث جاءت لغته متلائمة كل التلاؤم مع الغرض الذى أنشأ من أجله رسالته ففى النموذج الأول وفى مقام عدم الرضا بالذل والامتهان جاءت اللغة جزلة خشنة تتفق مع التقريع والتوبيخ والثورة ضد من توجهت إليه تلك الرسالة ومن أمثلة ذلك الكلمات (لا بحمل على الخدمة بالتفريع، ولا بالتهديد والترهيب...).

أما فى النموذج الثانى فقد جاءت ألفاظه أو لغته متلائمة مع غرض رسالته فهى فى الشوق والحب ومن ثم فهى ألفاظ رقيقة ورفيقة ترى ذلك فى قوله (انشأه الشوق اليه، أملاه لسان الحديث والذكر....) (٢).

وهكذا كان أسلوب الخوارزمى مختارا ولغته متلائمة مع أغراض رسائلة فكانت جزلة خشنة فى مقام وكانت رقيقة عذبة فى المقام الآخر وليس المقصود فى لغة الأدب بالجزل ما بدت غرائبه ولا بالرقيـــــق

---

(١) رسائل الخوارزمى ص ١٠٢.

(٢) المثل السائر - القسم الأول ١٨٥.

ما ظهرت وضاعته ولكن المقصود هو أن الجزل من الألفاظ ما كان عذبا في الفم عند النطق به لذيذا فى السمع عند وصله إلى الأذن مع متانته وقوته وأن الرقيق من الألفاظ (هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس) (١).

ولم يكن أسلوب البديع بأقل حظا فى هذه السمة الفنية سالفة الذكر من صاحبه وان اختلفا من حيث استخدام الجزل والرقيق فى رسائلهما يوضح هذا الاتجاه الفنى ما جاء فى احدى رسائل البديع حيث يقول ملائما بين اللغة واغراض رسالته التى قيلت فى مقام الشكوى والذم لأحد القضاة حيث بعث بها إلى كبير القضاة يقول : (... وأقسم لو أن اليتيم وقع فى أنيات الأسود بل الحيات السود لكانت سلامته منهما أحسن من سلامته اذا وقع بين غيابات هذا القاضى وأقاربه) (٢).

ولعل من يقرأ هذا الجزء من تلك الرسالة يدرك من أول وهلة هذا التلاؤم الشديد والتعانق الواضح بين هذه الكلمات والعبارات وبين غرضها أو موضوعها فقد جاءت الكلمات موافقة للشكوى معلنة التوبيخ وقد استطاع الكاتب أن يرى المشكور إليه عيانا ما وصل اليه ظلم أصحابه وهل هناك عبارة أو تصوير يؤدى هذا المعنى مثل

(١) المثل السائر - القسم الأول ١٨٥.

(٢) كشف المعانى ١٧١.

قول البديع : (واقسم لو أن اليتيم وقع فى أنياب الأسود بل الحبات السود لكانت سلامته بينهما أحسن من سلامته اذا وقع بين غيابات هذا القاضى واقاربه) [١]، وهذا دليل على دقة اللغة وحسن ملاءمتها للغرض وبذلك يصل الكاتب الى غرضه ويحقق هدفه ولا غرو فان (هذه القدرة اللغوية مما يحمل الناس على الاعتقاد فيما يقول المتكلم لاستنتاجهم من لهجته أن ما يقوله حق حتى لو كان غير صادق فى الواقع) [٢].

لغة الكاتبين بين الجزالة والرقة :

بعد أن عرضنا للغة ومؤامتها للغرض فى رسائل الكاتبين الخوارزمى والبديع يبقى أمر لابد من التنبية عليه وتحويل نظر القارئ إليه ألا وهو شيوع الكلمات الرقيقة فى أسلوب الخوارزمى فهى أكثر من الألفاظ الجزلة فى رسائله.

ولعل ذلك نتيجة لازمة الى اختلافهما فى الطبع حيث تميز الخوارزمى بهدوء الطبع كما تميز البديع بجدته ولا غرابة فإن للطبائع أثرا لا ينكره النقاد فى تكوين أسلوب الأديب وخضوع الفاظه لطبعة وما فيه من رقة أو خشونة ولهذا (كان القوم يختلفون فـي ذلـك

(١) السابق ١٧١.

(٢) النقد الأدبى الحديث د. محمد غنيمى هلال ١١٨.

وتتباين فيه أحوالهم فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر الآخر ويسهل لفظ أحدهم ويتوعر منطق غيره وانما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق) (١)

إنسياب الكلمات وتناغم موسيقاها :

بعد نظر وتأن وتتبع لأسلوب رسائل الكاتبين والاستقراء ما أمكن تبين لى أن لغتهما فى الرسائل جاءت كلماتها وعباراتها متلاحقة متناغمة متدفقة فى أنسياب عجيب وأعظم منه هذه الموسيقى الناتجة عن تساوى الألفاظ تارة وحسن التقسيم للفقر تارة اخري كل ذلك مع تخير اللفظ وإصابه المعنى.

وفى النموذجين التاليين أصدق دليل على ما ذهبت اليه جاء فى إحدى رسائل الخوارزمى التى يعزى فيها بعض الوزراء (لقد كانت المصيبة بفلان جراحة لا دواء لها إلا الصبر، وخسرانا لا جبر له الا الأجر... ولقد طلق من الدنيا عروسا غدارة مكارة غرارة...طالما قتلت بعلها، وخانت أهلها.....) (٢).

وأما البديع فقد بدا فى أسلوبه حسن العناية بتخير اللفظ واستواء التقاسيم وتعادل أطراف العبارات حتى تبدو الرسالة قطعة

(١) الوساطة بين المتنبى وخصومه للجرجانى ١٧، ١٨ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
(٢) رسائل الخوارزمى ٢٠٦.

موسيقية جميلة الإيقاع ومن أمثلة ذلك ما جاء فى إحدى رسائله التى يمدح فيها بعض أصحابه بعد عشرة وطول اختيار فيقول: "... وحقا أقول لقد عاشرت هذا الفاضل فطابت عشرته، ولانت قشرته وواصلته فأحسنت وصاله... وما نقبت فى الامتحان له عرقا الا جسسته، ولا نظرا الا فترسته)[١].

ثم بدا أن البديع كان (يعنى باشتقاق الألفاظ الموسيقية العذبة الجرس الحلوة على الأذن حتى تبدو الرسالة فى أكثر الأحيان كأنها قطعة موسيقية رقيقة الصدى بارعة النغم) [٢]. وهكذا كان البديع أكثر إبداعا من الخوارزمى فى هذه السمة.

ولا يقلل من قدر الكاتبين أن جاءت لغتهما متكلفة فى النادر القليل والتكلف فى الكلام (صرف جهد الشاعر أو الكاتب عن الوفاء بحق المعنى) [٣] وذلك نتيجة لازمة للعناية بتجويد اللفظ حتى ينصرف اليه ويدور فى فلكه فيصبح المعنى غامضا أو مبهما لدى القارئ.

(١) كشف المعانى ٣٨٥.

(٢) بديع الزمان رائد القصة والمقالة الصحفية د. الشكعة ٢٥٩.

(٣) أسس النقد الأدبى ٤٨٩.

تكرير بعض الألفاظ والاستفادة من تكوين أشكالها واشتقاقاتها:

بدت سمة التكرير واضحة لدى الكاتبين لاسيما عند البديع الذى كانت له قدرة بارعة فى التلاعب بالألفاظ وتناظر مسمياتها ولم يكن التكرار عندهما بلا هدف أو اظهارا للبراعة اللغوية وانما كان لفائدة يحددها الغرض من الرسالة.

وبالنظر فى بعض النماذج التى جاء فيها التكرار مع اعمال حاسة النقد يمكننا الوقوف على ما أراده الكاتب وقصد إليه من التكرير الذى عرف بأنه (دلالة اللفظ على المعنى مرددا) (١).

يقول الخرارزمى :(... وأسأل الله - تعالى - أن يرينا سلامة سليمة واستقامة أحوال مستقيمة، فلا شئ أحوج إلى السلامة من السلامة ولا إلى الاستقامة من الاستقامة...) (٢).

وقد جاء فى احدى رسائل البديع قوله :(.. والمرء لا تكرم خصاله حتى يكرم حمله وفصاله، ولا يسعد به جاره حتى يسعد بالطهارة نجاره...) (٣).

---

(١) المثل السائر القسم الثالث : ٣.

(٢) رسائل الخوارزمى ١٨.

(٣) كشف المعانى ١٢٦.

هدف تكرير الألفاظ عند الكاتبين مختلف :

والمتـأمل فى هذين القطفين من رسـالتى الخـوارزمى والبـديع يلحظ أن التكرير عند الخوارزمى جاء ليفيد التشويق ويؤكد على تلك المعانى التى يرتبط بعضها ببعض.

أما تكرير البديع فقد جاء ليعمق المعنى لما تحمله هذه الكلمات من شحنات دلالية لها أثر واضح فى تعميق المعنى والوصول بالقارئ والسامع الى ما يهدف إليه من الحرص على الربط بين تلك المعانى.

كـمـا حـرص الكاتبـان على هذا التكرير لاثارة الأحـاسـيس والمشـاعـر لدى المتلقى حـتى تتـحول المعـانى الجـامـدة الى سلوك فى حياته وبذلك يتحقق الهدف الذى قصده الكاتبان بأسلوب حسن مع سلاسته وسهولته وتخير لفظه واصابة معناه وإذا (كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقا وبالتحفظ خليقا) (١).

هكذا كان لكل من الخوارزمى والبديع تميز فى استعمالات اللغة واشتقاقاتها وحفظ مفرداتهاوقد بدا ذلك فى رسائلهما التى عرضت ولازلت أعرض قطوفا منها لتكون معينة على تقرير تلك الوجهات الفنية لكن البديع كان أكثر حظا وأوسع باعا فى استعمالات اللغة واشتقاقاتها وحفظ مفرداتها والاستفادة من هذا كله فى نسج رسائله على النحو الذى نراه فى قوله هاجيا رجلا يسمى عمارا.

---

(١) الصناعتين ٦٩.

(وما أجد لعمار مثلا إلا الغراب، لا يقع إلا مذموما على أى جنب وقع إن تعب فروعة النذير وان حجل فمشيه الأسير وأن شحج فصوت الحمير وان أكل فدبر البعير وان سرق فبلغة الفقير كذلك عمار...) (١).

ولعلك تلحظ معنى فى هذه الفقرة من رسالته تلك القدرة الفذة التى يمتلكها البديع فى التلاعب بالألفاظ والتناظر في مسمياتها حتى استطاع أن يرسم لنا هذه الصورة الساخرة امعانا فى الحط من قدر ذلك الرجل المهجو الذى جعله البديع ميدانا لكل صفة مذمومة كريهة ولا عجب فإن كل كلمة من كلمات تلك الفقرة تحمل معني خالصا فى الذم والتوبيخ وقد أعان البديع على ذلك معرفة واسعة باللغة واشتقاقاتها.

أما قدرة الخوارزمى على التلاعب بالألفاظ وتكوين أشكالها فتبدو فى قوله في بعض رسائلة متحدثا عن الدهر وأحواله مع الناس: (والدهر غريم لا يماطل إذا اقتضى، وحاكم لا يراجع اذا قضى ومؤدب إذا لم يتعلم منه عاقب وإذا تعلم منه أدب وهذب على أنى ما رأيت معلما احسن تعليما من الزمان، ولا متعلما اسوأ تعلما من الانسان...) (٢).

(١) كشف المعانى ٣٦٩.

(٢) رسائل الخوارزمى ١٢.

ولعلك تلحظ الكلمات التى وقع فيها التناظر والاشتقاق قوله: قضى - اقتضى، تعلم.

وهكذا يبدو جليا أن لكل من الكاتبين وجهة فنية من نسخ أسلوبه على هذا المنوال فكان هدف الخوارزمى التشويق أو اللوم والتهديد أما البديع فقد قصد الى تلك الشحنات الدلالية التى تحملها تلك الكلمات ليعمق المعنى فى النفوس.

الفاظ وعبارات ذات دلالة خاصة فى الرسائل :

بدت في أسلوب الرسائل لدى الكاتبين بعض الألفاظ والعبارات ذات دلائل خاصة قصد اليها الكاتب قصدا وحسبى الاشارة الى ذلك فى بحث يميل إلى الإيجاز.

"ليت شعرى"(١).

من العبارات التى اتسم بها الأسلوب لدى الكاتبين وليس ذلك بدعا فقد كان هذا التعبير شائعا لدى الأدباء والشعراء فى عصر كاتبينا وهو تعبير يدل على الندم والحسرة ومن أمثلة ما جاء فى أسلوب الخوارزمى قوله فى بعض رسائله الى ابى الحسن الطرطودى: (... فلا ترتفع عنى لشغل وليته كما لم يصغر عندنا شأنك العزل - ليت شعرى - ما الذى رآه فى الكبر حتى اعتقد ملته واستقبل قبلته)(٢).

---

(١) ليت شعرى : اي ليت علمى أو ليتنى علمت.. (اللسان مادة شعر).

(٢) رسائل الخوارزمى ٢٦.

ومما جاء فى رسائل البديع قوله : (ولست بمعصوم عن كل لوم، ولكنى أتصون ولا محجوب عن كل حدب ولكنى أتجمل - فليت شعرى - أى عيوبى ظهر؟ وكيف اشتهر ...) (١).

"كلمة فلان"

جاءت هذه الكلمة فى رسائل الكاتبين ولكنها كانت مختلفة الدلالة عند كل منهما تبعا لموضوعات الرسائل وقد بدا أن كلا من الكاتبين كان يقصد بها نفسه في معظم الرسائل يوضح ذلك ما جاء في رسائلهما ومن ذلك ما جاء فى رسالة للخوارزمى حيث كتب يقول معتزا بنفسه : (ورد فلان هذه الناحية فملأ العيون جمالا والقلوب كمالا والأسماع مقالا) (٢).

وكما جاء في رسالة الهمذانى فى مقام الشكوى : (... وحدثت عن هذا الخليفة لابل الجيفة أنه قال : قضيت لفلان خمسين حاجة منذ ورد هذا البلد وليس يقنع فما أصنع...) (٣).

وقد يعبر بها كل من الكاتبين ضائقا أو مستهجنا للاسم الصريح لسبب يراه أو مقام اقتضاه ومن ذلك ما جاء فى إحدى

---

(١) كشف المعانى ٣٢٣.

(٢) رسائل الخوارزمى ١٩٣.

(٣) كشف المعانى ٢٥٤-٢٥٥.

رسائل الخوارزمى هاجيا بعض الولاة: (... ورد علينا فلان ونحن نيام نومة الأمنة) [١] وتلك سمة فنية فى أسلوب الكاتب إذ أنه رأى عدم ذكر هذا الوالى ليجنب القارئ سوء ما يخلفه هذا الاسم من ضيق ولا غرو فقد شرط النقاد (ألا تكون الكلمة موحية الى النفس بما يؤذيها حتى يستقيم الأسلوب" [٢].

ظواهر لغوية ذات وجهة فنية :

لاحت فى الأسلوب عند كاتبينا بعض الألفاظ والعبارات التى استخدمها كل منهما متمكنا بموهبته الأدبية من استثمار خصائصها التركيبية فى توضيح فكرته والوصول الى هدفه من أقرب طريق ومن ذلك النفى والاستثناء وهو طريق من طرق القصر التى يقصد من ورائها الكاتب الى توكيد المعانى وتقويتها وهو الاكثر شيوعا فى رسائل الكاتبين ومن أمثلة ذلك قول الخوارزمى في بعض رسائله: (ولقد كانت المصيبة بفلان جراحة لا دواء لها إلا الصبر وخسرانا لا جبر له إلا الأجر...) [٣]

وكذلك منه قول البديع متحدثا عن نفسه : (ثم لم يلق الا في أل مكيال رحله ولم يصل الا بهم حبله ولم ينظم الا فيهم شعره...) [٤].

---

(١) رسائل الخوارزمى ١٣٨.
(٢) أسس النقد الأدبى عند العرب ٥٩٥.
(٣) رسائل الخوارزمى ٢٠٦.
(٤) كشف المعانى ٩٧، ٩٨.

وهكذا شاع طريق القصر بالنفى والاستثناء في تلك الرسائل بصورة واضحة ولا عجب إذا عرفنا أن (النفى والاستثناء أظهر الطرق وأقواها في الدلالة على القصر) (١).

ومن الظواهر اللغوية ذات الوجهة الفنية التى شاعت في اسلوب الرسالة عند الكاتبين العطف بلا وبل دون غيرهما من حروف العطف ولعل السبب فى ذلك دقة الأسلوب وتطويعه لأداء غرض الكاتب فهذان الحرفان من الحروف التى تفيد القصر (والقصر أسلوب جميل غزيز المعنى قوى المبنى لطيف الأسرار) (٢).

ومع ذلك لم يكن استخدام الكاتبين لهذين الحرفين "لا، بل" على مستوى واحد ففى الوقت الذى يكثر فيه حرف العطف "لا" في رسائل الخوارزمى نراه يقل أو يندر في رسائل البديع.

ومن ذلك الاستعانة بالمصطلحات العلمية الشائعة :

استطاع الخوارزمى أن يفيد من مصطلحات المناطقة والفقهاء والفلاسفة والأطباء مما شاع في عصره ولا يعيبه هذا - فيما أرى - ما دام القصد منه تجلية المعنى وتعميق الفكرة وان عده ابن سنان الخفاجى فى سر الفصاحة خروجا عن وضع الألفاظ فى مواضعها اذ

(١) دراسات منهجية فى البلاغة العربية د. أحمد حنفى ٤٨.
(٢) دراسات فى علم المعانى د. حسن مخيمر ص ٧ ط ١٩٨٩م.

يقول : (ومن وضع الألفاظ في موضعها الا يستعمل في الشعر المنظوم والكلام المنثور من الرسائل والخطب الفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم والألفاظ التي يختص بها أهل المهن والعلوم) (١).

ومن أمثلة الاستعانة ببعض هذه المصطلحات العلمية الشائعة ما جاء فى احدى رسائل الخوارزمى اذ يقول : (... وكيف يسمح بالجوهر الحاصل من يبخل بالعرض الحائل، وكيف بتوسع فى النافلة من تضايق بالفريضة) (٢).

ومنه أيضا قوله :(الجرب حكة -عافى الله تعالى سيدى منها- مادتها يبوسه وحرارة ووقود والتهاب... أرى لسيدى أن يصبر على الجوع مع مرارته وعلى العطش مع حرارته...) (٣).

وقد بدا فيما سقته لك هذه المصطلحات العلمية المتنوعة كالجوهر والعرض وهما من مصطلحات المناطقة والفريضة والنافلة وهما من تسميات الفقهاء، والجرب وهو من مصطلحات الأطباء.

(١) سر الفصاحة ١٥٨.

(٢) رسائل الخوارزمى ٢٧.

(٣) السابق ١٤٣.

واذا كان ابن سنان الخفاجى قد عد ذلك خروجا عن وضع الألفاظ فى مواضعها فان القلقشندى اعتبر ذلك هجنة فى الكلام ولست معه ايضا فيما ذهب اليه حيث يقول :(فان عملت رسالة أو خطبة.. فتحفظ الفاظ المتكلمين كالجسم والجوهر والعرض واللون والتأليف فان ذلك هجنة...) (١).

وخلاصة الرأى عندى أن الحياة تسير بخطى فسيحة نحو التقدم والتطور فى شتى المعارف والعلوم فلا ينبغى أن يقف الأديب شاخص البصر جامد القلم بل له أن يستعين بما يجد من مصطلحات وألفاظ مادامت تخدم فكرته وتحقق هدفه وتمتع القارئ والسامع على أن يكون فنه فنا للحياة وألا تغلب تلك المصطلحات على أسلوبه.

وإذا كان الخوارزمى قداستعان ببعض المصطلحات العلمية فان البديع لم يشاركه هذه السمة الأسلوبية لكنه نحا نحوا أسلوبيا اخر فى هذا الميدان حيث ضمت رسائله بعض التعبيرات الشائعة على ألسنة العوام فى عصره ولعل ذلك راجع الى علمه وخبرته بأسباب التأثير فالكلام المستعمل أشد تأثيرا فى النفوس ومع ذلك فان هذا الاتجاه لم يشع فى اسلوبه بحيث يكون سمة من سماته.

(١) صبح الأعشى ٣٢٤/٢.

ومنه ما جاء في احدى رسائله :(... وبذل الموجود غاية الجود، وبعض الحمية أخر المجهود، وماش خير من لاش[١] ووجود ما قل خير من عدم ما جل ... وقد قيل عصفور فى الكف خير من كركى فى الجو..."[٢].

ومن ذلك شيوع المحسنات البديعية :

تلك وجهة فنية أخرى تضاف الى ما ذكرته قبلا من اتجاهات فنية في أسلوب الكاتبين الخوارزمى والبديع فقد حرصا على تدبج الأسلوب ببعض المحسنات البديعية التى تطرب الأسماع وتأسر القلوب وتحرك المشاعر كما أنها تميل القارئ والسامع وتشوقه وتجعله مستشرقا لما يريده الكاتب ويهدف إليه وبذلك يكون الكاتبان قد حققا وجهتهما الفنية فى الأسلوب لأنه مما لا ريب فيه (أن المتكلم إذا راعى هاتين الفائدتين إمالة السامع واصفاءه وتشويقه، واستشراقه فقد راعى موجبات البلاغة، وتوخى مقتضيات الأحوال وتلك هى البلاغة)[٣].

(١) (الماش :"حب مفيد شاف للمحموم والماش أيضا قماش البيت الذى لا قيمة له ومعنى "ماش خير من لاش" أن وجود القماش الذى لا قيمة له فى البيت خير من خلوه منه " القاموس المحيط فصل الميم باب الشين.

(٢) كشف المعانى ٩١.

(٣) الصبغ البديعى : د. احمد موسى ٤٩٢.

ولعل أهم الأسباب التى دفعت الكاتبين الى تلك الوجهة الفنية سالفة الذكر وفرة مادتهما اللغوية وتمرسهما بأساليب اللغة وأبرز تلك المحسنات البديعية فى أسلوب رسائلهما السجع والجناس والموازنة.

السجـــع:

وقد عرف بأنه : (تماثل الحروف في مقاطع الفصول) [١] أو أنه (تواطؤ الفصول في الكلام المنثور على حرف واحد) [٢] ومن تتبع رسائل الكاتبين بدا أن السجع فيها كان الحلية الغالبة التى أكسبت تلك الرسائل جمالا وعذوبة وبخاصة ما قصرت فقراته وجمله ولا غرو فإن السجع فى النثر نظير القافية فى الشعرو (كما أن الشعر يحسن بتساوى قوافيه كذلك النثر يحسن بتماثل الحروف فى فصوله...) [٣] ولعلك تلحظ تلك الوجهة الفنية فى قول الخوارزمى: (... لا عدمت صاحب الجيش سيدا، وسندا، ومددا وعضدا، وركنا مؤيدا وسنانا محددا وسهما مسددا وسيفا مجردا مهندا...) [٤].

---

(١) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ٦٤ بشرح عبد المتعال الصعيدى.

(٢) المثل السائر. القسم الأول ٢٥٧. تحقيق د. احمد الحوفى، د. بدوى طبانه.

(٣) سر الفصاحة ١٦٤.

(٤) رسائل الخوارزمى ١٧٧.

كما نلحظها في قول البديع متحدثا عن سوء بعض الكتاب: (ولا زاد مالهم الا نقص معروفهم، ولا ورمت أكياسهم الا ورمت أنوفهم، ... ولا صلحت أحوالهم الا فسدت أفعالهم) (١) وبنظرة متأنية مع حس نقدي واع في النموذجين السابقين بل في رسائل الكاتبين معظمها يمكن أن يحكم على السجع فيها بأنه كان طبيعيا غير متكلف فقد جاء موافقا لتلك الوجهة النقدية القلقشندية التي تقول: (فان جاء كلامك مسجوعا عفوا من غير قصد، وتشابهت مقاطعه من غير كسب كان، وان عز ذلك فاتركه... فقد كان المتقدمون لا يحتفظون بالسجع جملة، ولا يقصدونه الا ما أتت به الفصاحة في أثناء الكلام وأتفق من غير قصد ولا اكتساب، وانما كانت كلماتهم متوازنة والفاظهم متساوية ومعانيهم ناصعة وعباراتهم رائعة....) (٢).

وقد بدا أن البديع كان أشد حرصا على السجع في أسلوب رسائله من الخوارزمي وقد دفعه ذلك الى تسهيل بعض الكلمات أحيانا كما في قوله: (... والدين وافر قوي، والكفر صاغر قمي...) (٣) فقد سهل كلمة قمي وأصلها قمئ بمعنى ذليل للازدواج بينها وبين كلمة قوي وقد يعدل الكلمة عن وجهها اتباعا لما قبلها

(١) كشف المعاني ١٤٦.

(٢) صبح الأعشى للقلقشندي ٢٠: ٣٢٧ وما بعدها.

(٣) كشف المعاني ٤٨٧.

وهو يهدف بذلك الى ازدواج السجعة كما فى قوله :(... وما حال الواحد بين اثنين أحدهما يبكيه والآخر يشكيه) [١] فقد عدل الكاتب عن كلمة يشكوه وفعلها شكا يشكو الى بشكيه وهذا خروج على اللغة غير مقبول ويندر ذلك عند الخوارزمي. ولا غرو فقد كان البديع (يلتزم السجع الا قليلا وهو في الرسائل اسجع منه فى المقامات) [٢] وذلك بلا شك نتاج عقل ذكى وحسن أدبى فى غاية التوفيق والتفوق فى ميدان الأدب والإنشاء.

تعددية صور السجع ودلالتها :

أدرك الكاتبان قيمة التعددية فى صور السجع وأثر تنويعه على القارئ فعمدا الى ذلك فى فنية بارعة فجاء سجع الكاتبين متعدد الأشكال والصور ومن ذلك التعادل والتماثل بين افراد الجملتين واشتراكهما فى حرف واحد وهذه وجهة فنية تهدف إلى ابعاد السآمة والملل عن نفس القارئ والسامع الذى قد يبعثه طول الجمل المسجوعة لأن هذا التعادل بين افراد تلك الجمل وتشابه بعض حروف كلماتها يقرب بين الأصوات المتباعدة ومن ثم تحس الأذن بجو موسيقى متماثل لا يبعد عن موسيقى الجملة الأولى وهذا يريح الأذن ويمتع النفس ويرقى بالمشاعر ومما يدل على ذلك اللون قول الخوارزمى

---

(١) كشف المعانى ٢٤٧.

(٢) الحياة الأدبية فى العصر العباسى د. خفاجى ٣٨٥.

فى بعض رسائله: (.. ولاخلصك الله مما أنت فيه من جناية غيرك عليك حتى يخلصك مما كانت فيه من اساءة نفسك اليك) (١)

ولعلك تلحظ معى التعادل الواضح بين الجملتين مع اتحادهما فى حركة الفواصل مع تشابه بعض الحروف فى نهايات الفواصل أما هذه الوجهة الفنية وهذه الصور من السجع فاننا نراها فى رسائل البديع مثل قوله :(.. فإن وجدت الحال كما نزلت فدار الشمل جامعة، وأن تغيرت عما عهدت فأرض الله واسعة) (٢) ولعل التعادل واضح فى قدر هاتين الجملتين كما أن التماثل لا يخفى في حروف بعض الكلمات مثل قوله نزلت وعهدت.

ومن مظاهرالسجع عند الكاتبين كثرته مع الالتزام بروى واحد ومن هذا قول الخوارزمى :(.. والله - تعالى - يطيل بقاء الشيخ لمتحن يخلصه، ولفاضل يستخلصه، ولعارفة يسديها، وضيقة يوليها، ورغبة يعطيها، ومعال يوشيها، وكريمة يجلبها ومهمة يكفيها، وملحة يداويها، وأيام كأيامنا هذه يداريها...) (٣) فهذه سجعات تصل إلى عشر ولكنه التزم فيها رويا واحدا هو الهاء المشبعة بالألف.

---

(١) رسائل الخوارزمى ٩.

(٢) كشف المعانى ١١٤.

(٣) رسائل الخوارزمى ١٠٤.

ويرى الدكتور/ "مصطفى الشكعة" أن الخوارزمى كان غير موفق فى أسجاع رسائله وبخاصة ما جاء منها على روى واحد وعلل ذلك بأن الخوارزمى لم يجهد نفسه واكتفى بأن تكون الفقر مشتركة فى حرف الروى الذى لم يكن موفقا أيضا فى اختياره حيث جاءت حروف الروى عنده ضعيفة لا تكشف عن تمرس فى هذا المجال **وأنا معه فيما يخص حرف الروى حيث جاء فيما**- أرى - ضعيفا غير متلائم مع عرض الكاتب كما فى النموذج السابق ولكن الأستاذ الناقد كان قاسيا فى تعميم بقية وجهته النقدية التى لا توافقه على اطلاقها بلا تقييد على كاتب حلق فى سماء الأدب وتتلمذ علي يديه طلاب الأدب فى فن الكتابة.

ولعل من المفيد هنا أن أنقل وجهة نظر الناقد حيث يقول: (فالخوارزمى في سجعه يبدو كسولا متوانيا لا يكاد يتعب نفسه فى تنغيم أسجاعة واختيار الروى الرنان بل يكفى بأن يجعل نهايات الأسجاع تتفق فى حرف واحد مما يحمل القارئ على أن يحس بالملل ويكاد ينسى أنه يقرأ كلاما مسجوعا.. ولو كان الخوارزمى تحلل من هذا النوع الثقيل السخيف من الأسجاع وعمد إلى الأسلوب المرسل لكان خيرا له الف مرة، ولكنه أبى إلا أن يجارى أدباء عصره ويقلدهم فى الأسجاع على غير استعداد كامل فرمانا بهذا السجع الهزيل) [1].

---

(١) بديع الزمان د. الشكعجة ١١١، ١١٢.

كما ذكر بعض الأمثلة التى أيد بها وجهة نظره تلك ومنها ما جاء في احدى رسائل الخوارزمى اذ كتب يقول :(... ولا تؤخر عمل اليوم الى الغد، ولا تهمل نفسك فى شغل السبت الى الأحد) (١) وقوله (ومهلى اذا شربت ومحدثى اذا خلوت وسلامتى اذا اغتنمت...) (٢).

وقد علل الناقد لثقل السجع وتكلفه فقد جاء التكلف فى النموذج الأول من كلمة الأحد التى لا فائدة منها الا اتمام السجعة كما أن الثقل فى النموذج الثانى كان نتيجة لازمة لاكتفاء الكاتب الخوارزمى في السجع بتلك التاء المفتوحة. ولاشك أن للناقد وجهته فدراسة الأدب تخضع لوجهات النظر مادامت محكومة بأسس النقد التى وضعها أهل هذا الفن.

ومنه قول البديع :(... كان ذنبى الى ذلك السلطان مولاة أدمتها، خدمة أقمتها، وشبيبة أرقتها، وحياة أنفقتها، وحرم أسلفتها، وأموال أتلفتها، وقصائد نظمتها، وموائد خدمتها...) (٣).

---

(١) رسائل الخوارزمى ٦١.

(٢) السابق ٢٠.

(٣) كشف المعانى ١٥٥.

وهكذا جاءت هذه السجعات على كثرتها متفقة فى روى واحد وهى غاية في جودة سبكها وتناغم كلماتها تصل الى الأذان والعقول في صورة مقبولة تضمن لها البقاء فى عالم الأدب.

ومن صور السجع عند الكاتبين تعدد الفواصل مع اختلاف الروى ومن ذلك قول الخوارزمى فى بعض رسائله: (وأنا أرى لشيخى أن يستعمل هذا الرسول فى جباية المال واستحثاث العمال واجتلاب الصدقات والجوال فانه يحاسب على اللحظة ويضايق فى اللفظة...) (١).

فقد جاء كلام الخوارزمى فى هذا النموذج مركبا على روبين فى خمس فواصل ومن أمثلة هذا الاتجاه الفنى فى أسلوب البديع قوله: (فكان ما أضعناه كأنا زرعناه فأنبت سبع سنابل، وكان ما فقدناه كأنا أقرضناه هذا الملك العادل) (٢) فقد جاء كلامه ست فواصل مبنيا على روبين.

ومن براعة السجع عندهما جعل آخر كلمة فى الجملة أو الفقرة بداية للجملة الثانية مع قدرة على عدم الاخلال بالمعنى أو النيل من موسيقى السجع وتلك المهارة تكشف عن ثقافة الكاتبين

---

(١) رسائل الخوارزمى ١٨١.

(٢) كشف المعانى ٤٣٣.

ورصيدهما من اللغة وأساليبها ومن تلك الأمثلة قول الخوارزمى: (وانما الناس بالاحسان بالسلطان، والسلطان بالزمان والزمان بالإمكان، والإمكان على قدر الكتابه) (١).

وعلى هذا المنوال نسج البديع أسلوبه ومنه قوله :(ويعرف حال غيره من نفسه ويعلم أنها حب وراء القلب وقلب وراء الحلب وحلب وراء العظم وعظم وراء اللحم ولحم وراء الجلد...) (٢).

صور من السجع اختص بها أسلوب البديع :

كان للهمذانى قدرة خاصة في هذا اللون من البديع البلاغى لم يجاره فيها الخوارزمى ولذلك تفرد أسلوب رسائله ببعض الوان من السجع كانت نادرة أو معدومة فى أسلوب الخوارزمى وقد كشفت هذه السمة الفنية فى أسلوبه عن تمكنه من اللغة ومعرفته بدقائق أساليبها. ومن ذلك.

السجع بين الألفاظ والكلمات وليس الجمل والعبارات ومنه قوله :(يعز على - أطال الله بقاء الرئيس- أن ينوب فى خدمته قلمى عن قدمى ويسعد برؤيته رسولى دون وصولى ...) (٣) ولعلك تلحظ

---

(١) رسائل الخوارزمى ٢٦٢.

(٢) كشف المعانى ٢٣٤.

(٣) كشف المعانى ١٠١.

معنى أن السجع هنا جاء من خلال الكلمات المتشابهة أو المتناظرة مثل كلمة "قلمى، قدمي، رسولى، وصولى" بل أن الهمذانى له قدرة على أن يسجع بين الكلمات فى الجملة الواحدة كما فى قوله: (...اليفه رغيفه، وأنيسه كيسه، وأمينه يمينه ودنانيره سميره...) (١).

ولعل الهمذانى يريد أن يظهر مهارته اللغوية ويزهو بتفرده في هذا المجال فيضعف السجعة الواحدة ومن ذلك قوله :(... فاتى وان كنت في مقتبل السن والعمر قد حلبت شطرى الدهر، وركبت ظهرى البر والبحر ولقيت وفدى الخير والشر وصافحت يدى النفع والضر) (٢).

كما جمع فى هذا النموذج أيضا بين الطباق والجناس والسجع، ولعلك تلحظ تضعيف السجع الذى سقنا النموذج لتوضيحه فى البر والبحر والخير والشر وفيهما الجناس كما نلحظ الطباق بين الكلمات. البر والبحر، الخير والشر، والنفع والضر وبذلك جمل كلامه (لأن المعانى في الأفكار المتضادة تفهم في يسر وبخاصة إذا وضع بعضها بازاء بعض) (٣).

---

(١) السابق ١٤٨.

(٢) السابق ١٠١، ١٠٢.

(٣) فى النقد الأدبى عند العرب ص ٢١٩ د. محمد طاهر درويش.

ومن الملاحظ أن هذا كله جاء طبيعيا غير متكلف في أسلوب البديع فكان سهلا ميسرا (والمذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلا ميسرا بلا كلفة ولا مشقة) (١).

وسجع الكاتبين الخوارزمى والبديع جاء على المذهب السابق فكان محمودا لأنه وقع من غير تكلف أو مشقة فى مجمله وكان التكلف نادرا عند الخوارزمى أما ذم السجع على اطلاقه فلا نوافق عليه لأن السجع جاء فى القرآن الكريم فى سور كاملة مع أننا نؤيد ذم السجع ان كان متكلفا لأن التكلف فى كل شئ يقبحه أما سجع الكاتبين فقد كان سجعا معتدلا والمعروف نقديا (أن الأصل فى السجع انما هو الاعتدال فى مقاطع الكلام والاعتدال مطلوب فى جميع الأشياء والنفس تميل اليه بالطبع) (٢).

وكان فى مقدرة صاحبينا أن يجعلا أسلوب رسائلهما مرسلا غير مسجوع لكنهما آثرا السجع لما فيه من ميزة دعا اليها النقاد كما استحسنوه في الرسائل والخطب حيث يقول بعضهم: (وأعلم أن الذى يلزمك فى تأليف الرسائل والخطب هو أن تجعلها مزدوجة فقط ولا يلزمك فيها السجع، فان جعلتها مسجوعة كان أحسن ما لم يكن في سجعك استكراه وتنافر...) (٣) ويسير في

---

(١) سر الفصاحة ١٦٤.

(٢) المثل السائر - القسم الأول ٢١٢.

(٣) الصناعتين ١٧٦.

الاتجاه النقدى نفسه بعض النقاد المحدثين داعيا الى الاعتدال فى البديع وبخاصة السجع والازدواج والا تكون تلك الحلى اللفظية على حساب الفكر والمعنى بحيث لا تكون المعانى تبعا للألفاظ وانما العكس فيقول :(فاننا نكره كما كره نقاد العرب ان يكون ذلك مما يدفع الكاتب الى اهمال جانب المعنى بل ينبغى أن يكون اللفظ تابعا للمعنى وأن يكون واضحا خاليا من ظلمة التنافر والتعقيد...) (١).

وبعد هذا العرض للسجع وصوره وأهميته ونماذجه فى رسائل الكاتبين، الخوارزمى والبديع مع ما اقتطفناه من الوجهات النقدية فى هذا المجال نستطيع أن نجعل **ذلك اتجاها فنيا فى أسلوب الرسالة** لدى الكاتبين وبخاصة بديع الزمان الهمذانى يقول استاذى الخفاجى مستحسنا ومعللا لتلك الوجهة الفنية عند البديع: (وهو فى الرسائل اسجع منه فى المقامات وجملة قصيرة وسجعه متقارب وذلك أحسبه نتاج الطبع الذكى الحساس) (٢).

الجناس:

شاع الجناس في أسلوب الرسالة عند الكاتبين وبخاصة عند بديع الزمان، وقبل أن نجلى هذه الوجهة الفنية لابد من الماحة إلى معنى الجناس وقيمته فى الأسلوب وشغف كثيرين من الكتاب بـــه

---

(١) اسس النقد الأدبى عند العرب ٦٠٥.

(٢) الحياة الأدبية فى العصر العباسى د. خفاجى ٣٨٥.

ولعل فيما كتبه ابن الأثير ايضاحا لهذا كله حيث يقول :(واعلم ان التجنيس غرة شادخة[١] فى وجه الكلام وقد تصرف العلماء من ارباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا - لاسيما المحدثين منهم - وصنف الناس فيه كتبا كثيرة وجعلوها ابوابا متعددة ... وحقيقته ان يكون اللفظ وحدا والمعنى مختلفا...) [٢] وقد جاء الجناس مع تنوعه في رسائل الكاتبين طبيعيا غير متكلف كما كان قبلا فى السجع الذى أفضنا فى الحديث عنه فى موضعه فلم يكن التجنيس مطلوبا لذاته بل إنه جاء تبعا للمعنى ومن ثم كان وجهة فنية مقبولة تدل على فنية الكاتبين وعلمهما بوجوه تحسين الكلام (ولا يخفى أن أسلوب التجنيس يكسب الكلام حسنا وجمالا ويعود على المعنى بالتمكين فى ذهن السامع فهو من صميم البلاغة ومقاصدها التى تؤم) [٣].

كما لا يخفى ما فى الجناس من تشويق للقارئ والسامع على السواء لهذا كله كان الجناس فى أسلوب الرسالة عند الكاتبين شائعا

---

(١) شدخت الغرة شدخا وشدوخا، انتشرت وسالت فملأت الجبهة ولم تبلغ العينين، وقيل غشيت الوجه من أصل الناصية إلى الأنف (اللسان مادة "شدخ".

(٢) المثل السائر - القسم الأول ٢٦٢.

(٣) الصبغ البديعى ٤٩٢.

من أهدافه التشويق ولا غرو فان (اللفظ المشترك اذا حمل على معنى ثم جاء. والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوق اليه) (١).

وقد تنوعت أنماطه عند الكاتبين تنوعا ملحوظا وحسبنا الإشارة الى هذا التجنيس في رسائل الكاتبين حيث يقول الخوارزمى :(ورد على خبر وفاة فلان فدارت بى الأرض حيرة، واظلمت فى عينى الدنيا حسرة،وتذكرت ماكان يجمعنى واياه من سكرى الشباب والشراب) (٢).

ويقول أيضا :(كتبت الى الأستاذ معاتبا مرة، ومستعتبا كرة فما وجدت للعتاب أعتابا، ولا قرأت عن الكتاب جوابا) (٣)

وبنظرة فاحصة فى القطفين السابقين يتضح لنا أن الخوارزمى جانس بين الاسماء وهو اتجاه غالب في معظم جناس رسائله كما أنه جمع بين الجناس والسجع فى آن واحد كما فى قوله "حيرة وحسرة" وكما فى قوله (اعتابا، وجوابا) كما أنه استخدم الجناس المزدوج فى قوله (سكرى الشباب والشراب) فقد وليت كلمة الشراب كلمة الشباب وهذا ما يسمى بالجناس المزدوج حيث عرفه بعض النقاد بأنه

---

(١) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للامام السبكى جـ٤ ٤/٢، ٤/٣.

(٢) رسائل الخوارزمى ٢٥.

(٣) السابق ٣٣.

(اذا ولى أحد المتجانسين الآخر) [١] ولايخفى قيمة هذين اللونين من البديع فالسجع يزيد تأثير الكلام في النفس لموسيقاه التى تريح الأذن وتمتع النفس (ولعل السر فى تأثير الجناس ما فيه من ايهام النفس أن الكلمة المكررة ذات معنى واحد فإذا أمعن المرء فيها النظر رأى للكلمتين معنيين مختلفين) [٢] فيؤدى ذلك الى الإعجاب بأسلوب الأديب شاعرا أو ناثرا وقد بدا أن الخوارزمى كان موفقا فى وجهته تلك ايما توفيق وان لم يبلغ ما وصل اليه بديع الزمان في هذا الاتجاه الفنى.

أما التجنيس عند البديع فقد كان بين الاسماء تارة وبين الاسماء والافعال تارة اخرى مع قدرة فائقة على الاشتقاق والتنويع تعينه على ذلك معرفة باللغة وأساليبها وقدرة على الغوص فى محيطها واستخراج لآلئها ومن هنا كانت له تلك القدرة وهذه الريادة في مجال صياغة الألفاظ والمجانسة تتبينها في رسائله ولهذا قال عنه بعض النقاد (وما عرفنا كاتبا ينقاد له الجناس انقياده للبديع فى هاتيك الرسائل .. ولا عجب فقد كان الهمذانى كاتبا صناعا حذق صنعة اللغة وحفظ مفرداتها واتقن رصفها) [٣].

---

(١) الايضاح ت د. خفاجى ٥٤٢.

(٢) أسس النقد الأدبى د. احمد بدوى ص ٤٧٥، ٤٧٦.

(٣) مجتمع الهمذانى من خلال مقاماته - مازن المبارك ٢٧.

وتلك بعض النماذج التى تؤيد ما يبدو لى من رؤى نقدية تجاه جناس بديع الزمان الهمذانى قبل وبعد

يقول بديع الزمان (وأنا أحمد الله الى الشيخ، وأذم الدهر فما ترك لى فضة إلا فضها ولا ذهبا ولا ذهب به ...) [١] ويلاحظ هنا أن البديع يصوغ الافعال من مادة الاسماء ثم يجانس بينها فى براعة الناثر الحاذق المبدع الذى صارت معه الكلمة طيعة يصوغها كما يشاء لتخدم فكرته وتجمل كتابته فيكون فى غاية التأثير وتلك مهمة الأديب حيث إنه (يهئ للألفاظ نظاما ونسقا وجوا يسمح لها بأن تشع أكبر شحنتها من الصور والظلال والإيقاع) [٢].

وقد جانس البديع بين كلمتين قائمتين على صيغة أفعل التفضيل كما يتضح من قوله فى احدى رسائله التى يفضل فيها العرب على العجم : (ولم ننكر أن تكون أمة أحسن من العرب ملابس، وأنعم منها مطاعم وأكثر ذخائر وابسط ممالك واعمر مساكن ولكنا نقول : العرب أوفى وأوفر وانكى وانكر وأعلى وأعلم وأحلى وأحلم وأقوى وأقوم وأبلى وابلغ) [٣].

---

(١) كشف المعانى ١٠٥.

(٢) النقد الأدبى أصوله ومناهجه- سيد قطب ص ٣٩.

(٣) كشف المعانى ٢٧٩.

وأرى أن البديع هنا لم يحالفه التوفيق وأن هذا النموذج يمثل النادر من التجنيس الذى لم يستدعه المقام ولم يطلبه المعنى في رسائله لأن أغلب الكلمات المتجانسة هنا يبدو فيها التكلف والتصنع ("وعلى الجملة فانك لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذى طلبه وأستدعاه وساق نحوه") (١). ومن ثم كان الحكم النقدى على النموذج السابق بعدم التوفيق فى التجنيس لأنه تجنيس لا يناصره المعنى ولم يكن موقع الكلمات المتجانسه فيه من العقل موفقا حميدا كما أن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيد.

ولا يقلل هذا من مكانة البديع وقدرته على التجنيس وريادته لفن المحسنان البديعية فقد قيل عنه ("ما عرفنا كاتبا ينقاد له الجناس انقياده للبديع فى هاتيك الرسائل") (٢).

الموازنة :

تتحد الموازنة مع السجع وتؤاخيه فى التعادل وتختلف عنه فى عدم التماثل فى فواصلها فكل سجع موازنة وليس كل موازنة سجعا (وعلى هذا فالسجع أخص من الموازنة) (٣) التى يراد بها :

---

(١) أسرار البلاغة تعليق د. خفاجى جـ١ ص ١٠٣.

(٢) مجتمع الهمذانى من خلال مقاماته د. مازن المبارك ص ٢.

(٣) المثل السائر - القسم الأول ٢٩١.

(أن تكون الفاصلتان متساويين في الوزن دون التقفية) [١] ويسمى أيضا ازدواجا ومن هذا المنطلق تكون لونا من ألوان البديع البلاغى ووجهة النقاد فيها لا تختلف عن وجهتهم فى السجع الذى تحدثت عنه قبلا ومن ثم أرانى لست فى حاجة الى اعادة هذه الوجهات النقدية هنا رغبة فى عدم الاسهاب ورفقا بالقارئ الكريم.

وقد وجد هذا اللون البديعى فى رسائل الكاتبين الخوارزمى والبديع ولا يخفى ما فى الموازنة من تلاؤم موسيقى وقد مدح النقاد الازدواج أو الموازنة وذكر بعضهم أنها كانت سمة الأدب وبغية الادباء حيث قال (وانما كان كلماتهم متوازنة والفاظهم متساوية ومعانيهم ناصعة) [٢] ولهذا وقعت الموازنة في نفوس القراء والسامعين موقع الاستحسان.

ولعل مقتضى حال البحث يحتم على أن أسوق قطوفا دانية من رسائل الكاتبين لنؤصل تلك الخصيصة ونوضح تلك الوجهة الفنية عند الخوارزمى وبديع الزمان ولا غرو فإن للموازنة قيمة لا تنكر فى الكلام لما تحقق من انسجام عن طريق الاعتدال والتوازن بين الجمل يقول الخوارزمى (ولقد عاينوا رجلا هون إليهم من قبله، وبغض اليهم من بعده...) [٣].

---

(١) الايضاح ت د. خفاجى ٥٥٢.

(٢) صبح الأعشى للقلقشندى ٣٢٦/٢ وما بعدها.

(٣) رسائل الخوارزمى ١٢١.

ويقول البديع : (وليس الشوق الى مولاى شوقا انما هو وقع السهام ولا الصبر عن لقياه الصبر انما هو كأس الحمام، وما للسم سلطان هذا السهم، ولا للخمر طغيان هذا الأمر...) [1] ولعلك تلحظ معى أن ما فى هذين القطفين من تعادل وتوازن بين فقراتها قد أحدث جرسا موسيقيا متناغما يؤلف النفوس الشاردة ويجمع القلوب المتباعدة ويعين على فهم الفكرة.

كما يبدو أيضا عدم التكلف فى أسلوب الكاتبين هنا فليست الموازنة عندهما متعمدة لكونها حلية لفظية أو مدارة لعجز فى مجال الإنشاء وإنما هى أسلوب أدبى حتمته طبيعة الغرض ودعت اليه المعانى لتقويتها وايضاحها وتمكينها فى اذهان السامعين والقراء على السواء.

ولاشك أن الموازنة أو الازدواج أدخل فى صناعة الكلام وفصاحته، وأبعد عن التكلف الذى قد يعنى به السجع، فهى إلى الطبع أميل ومن الصنعة أبعد.

---

(١) كشف المعانى ٩٩.

خاتمة البحث ونتائجة

وبعد فلعلى أكون قد وفقت فى إلقاء الضوء على أسلوب الرسالة عند الخوارزمى وبديع الزمان ولعل ما سقته من نماذج موجزة قد أوضح تلك الاتجاهات الفنية التى اتصف بها أسلوب هذه الرسائل الأدبية فاكسبتها رفعة وضمنت لها البقاء فى عالم الأدب والأدباء.

ولا عجب فقد حرص كل من الأديبين على تجويد أسلوبه باختيار الفاظه وتعبيراته فجاءت لغتهما قوية الأداء في الدلالة على المقصود مع سلامة المبانى ووضوح المعانى فكانا موفقين فى أسلوب الكتابة لأن الكاتب الموفق هو الذى يهتدى الى الأسلوب الذى يعينه على تحقيق هدفه والابانة عن فكرته وهكذا كان الخوارزمى وبديع الزمان وكذلك كان أسلوبهما مرآة صادقة عكست الشخصية الأدبية والعقلية والوجدانية والثقافية لكل منهما وأطلعتنا على عنايتهما بحسن الصياغة وسلامة الانشاء.

ولعل من المفيد هنا أن أشير إلى أهم نتائج هذا البحث وان كانت لا تغنى عن تقليب صفحاته للوقوف على مافيه من اتجاهات فنية ووجهات نقدية فى أسلوب الرسالة عند الكاتبين.

وفيما يلى ايجاز لما توصل إليه البحث فى مجال تلك الدراسة:

أولا : وضوح اللغة ودقة استعمالها وحسن الملاءمة للموضوع لدى كل من الخوارزمى وبديع الزمان.

ثانيا : لغة الخوارزمى غلبت عليها العاطفة والرقة على حين غلبت الجزالة والمنطق على لغة البديع نتيجة لاختلاف طبيعتهما وثقافتهما وقد بدا ذلك من خلال نماذج رسائلهما التى سقناها فى ثنايا البحث.

ثالثا :اتسم أسلوب الكاتبين باستخدام الكلمات الشائعة فى الأوساط الأدبية حينذاك.

كما تميز اسلوب الخوارزمى في البديع باستخدام بعض المصطلحات الشائعة لدى المناطقة والفقهاء والاطباء على حين كان ذلك نادرا عند البديع وقد أثبت ذلك فى ثنايا البحث.

رابعا : من الاتجاهات الفنية في أسلوب الكاتبين استخدام بعض المحسنات البديعية وبخاصة السجع والجناس والموازنة وان كان الهمذانى أكثر تنويعا لصور الجناس.

كما جاءت المحسنات فى معظمها بعيدة عن التكلف كى تخدم الفكرة وتجذب القارئ وتستهويه.

خامسا : أسلوب الكاتبين جاء معبرا عن الطبيعة المواتية والموهبة التى عاونتها ثقافة واسعة وبصر بمواقع القول وثراء فى اللغة وبخاصة عند بديع الزمان.

سادسا : وقد بدا فى أسلوب الكاتبين اهتمام بالصنعة والتنقيح مع قدرة على تهذيب العبارة ومن ثم جاءت رسائلهما سهلة العبارة عذبة الألفاظ جميلة الايقاع تخدم الفكر وتعين على تحقيق المراد.

سابعا : كانت المحسنات البديعية كالسجع والجناس والموازنة أيام الخوارزمى والبديع صنعة أو تقليدا عملا مستحسنا ينبارى فيه الكتاب كما كانت اللغة والتحكم فيها والامتلاك لها مقياس التفوق فى حيازة قصب السبق فى هذا المضمار وليس الأمر كذلك فى عصرنا الحاضر فلم يقبله النقاد بما كان عليه.

ثامنا : كان استحساننا لأسلوب الكاتبين بما فيه من محسنات بديعية من منطلق عصرهما واننا رجعنا بذاكرتنا إلى هذا العصر لنستحسن ما كان يستحسن فيه من النثر وملامح التفوق فيه مستخدمين مقاييس ذلك العصر وآراء نقاده فيه حيث بدت لنا اتجاهات فنية فى أسلوب الرسالة عند الكاتبين أوضحناها في مواضعها المختلفة فى ثنايا البحث.

هذا وبالله التوفيق وعلى الله قصد السبيل.

مصادر البحث ومراجعة

١- أبو بكر الخوارزمى حياته وأدبه من أعلام العرب د. أحمد أمين الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م.

٢- الأدب العربى فى اقليم خوارزم لهند حسين طه. منشور وزارة الاعلام بالعراق سنة ١٩٧٦م.

٣- أسرار البلاغة / ت د. خفاجى ط٣ دار القاهرة للطباعة سنة ١٩٧٩م.

٤- أسس النقد الأدبى د. احمد احمد بدوى - مطبعة الرسالة ط٢ ١٩٦٠م.

٥- الأسلوب لأحمد الشايب ط٧ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٦م.

٦- الايضاح - مطبعة صبح ١٩٧١ تحقيق د. خفاجى. دار الكتاب اللبنانى بيروت.

٧- بديع الزمان رائد القصة والمقالة الصحفية. د. الشكعة ط١ عالم الكتب سنة ١٩٨٣م.

٨- بغية الدعاة للسيوطى. مطبعة الخانجى ١٣٢٦هـ.

٩- البيان والتبيين للجاحظ. دار الكتب العلمية - بيروت.

١٠- تاريخ الأدب العربى لاحمد حسن الزيات ط٢. دار نهضة مصر للطبع والنشر سنة ١٩١٤م.

١١- تاريخ آداب اللغة لجرجى زيدان. ت. د. شوقى ضيف. طبع دار الهلال.

١٢- الحياة العربية فى العصر العباسى الثانى د. خفاجى ط١ القاهرة. نشر رابطة الأدب الحديث. دار العهد الجديد للطباعة سنة ١٩٥٤م.
١٣- دراسات منهجية فى البلاغة العربية د. احمد حفنى ط٢ سنة ١٩٦٩م. مطبعة زهران - القاهرة.
١٤- دراسات فى علم المعانى د. حسن مخيمر ط١ مطبعة الأمانة سنة ١٩٨٩م.
١٥- رسائل أبى بكر الخوارزمى. منشورات مكتبة الحياة. بيروت سنة ١٩٧٠م.
١٦- زهر الآداب للحصرى ت . د. زكى مبارك ط٤. دار الجبل سنة ١٩٧٣م. المطبعة الرحمانية.
١٧- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى - ش عبد المتعال الصعيدى - مطبعة صبح سنة ١٩٦٩م.
١٨- صبح الأعشي للقلقشندى. نسخة مصورة عن المطبعة الاميرية - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنضر سنة ١٩١٨. مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٢م.
١٩- الصبغ البديعى د. احمد موسى. دار الكاتب العربى للطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٦٩م.
٢٠- الصناعتين لأبى هلال العسكرى /ت. د. محمد مفيد قميحة - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط ١ سنة ١٩٨١م.

٢١- عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح للامام السبكى ضمن مجموعة شروح التلخيص ط١ - المطبعة الاميرية - بولاق ١٣١٨هـ.

٢٢- فى محيط النقد الأدبى د. إبراهيم ابو الخشب - الهيئة العامة للكتاب.

٢٣- فى النقد الأدبى د. شوقى ضيف ط٢. دار المعارف.

٢٤- الكتابة الأدبية والعلمية د. اشرف موسى - مطبعة دار التأليف.

٢٥- كشف المعانى والبيان عن رسائل بديع الزمان : شرح الشيخ ابراهيم الطرابلسى. المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٨٩٠م.

٢٦- لسان العرب لابن منظور.

٢٧- المثل السائر لابن الأثير - ت د. احمد الحوفى، د. بدوى طبانه دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٢٨- مجتمع الهمذانى من خلال مقاماته. د. مازن مبارك - مطبعة الترقى بدمشق.

٢٩- معجم الأدباء. منشورات دار المأمون. مكتبة عيسى الحلبى ط٣ دار الفكر سنة ١٩٨٠م.

٣٠- معجم البلدان لياقوت - ت الشيخ الشنقيطى ط١ - مطبعة السعادة بمصر - دار صادر بيروت سنة ١٩٧٧م.

٣١- النثر الفنى في القرن الرابع الهجرى. د. زكى مبارك. دار الكاتب العربى للطباعة والنشر.

٣٢- نظرات فى الأدب المعاصر د. سليمان الأغانى ط١. شركة الطباعة المتحدة سنة ١٩٧٣م.
٣٣- النقد الأدبى. أصوله ومناهجه - سيد قطب - دار الشروق ط٧ ١٩٩٣م.
٣٤- النقد الأدبى الحديث د. غنيمى هلال دار نهضة مصر للطبع والنشر سنة ١٩٧٩م.
٣٥- نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر، ط٣ ١٩٣٨م مطبعة لجنة التأليف والنشر د. طه حسين، د. عبد الحميد العبادى.
٣٦- الوساطة بين المتنبى وخصومه للجرجانى ت. محمد ابو الفضل ابراهيم، ومحمد البجاوى ط٢ دار احياء الكتب العربية - مطبعة عيسى الحلبى.
٣٧- وفيات الأعيان. ت محمد محى الدين - مطبعة السعادة. نشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٨م.
٣٨- اليتيمة للثعالبى ت/ د. محمد قميحة ط ١ دار الكتب العلمية - بيروت لبيان سنة ١٩٨٣م.